الحجّ رموزٌ وحِكَم

آية الله الشيخ عبدالله جوادي آملي

ترجمة: حيدر حبّ الله

www.ketab.ir

سرشناسه : جوادی آملی، عبدالله، ۱۳۱۲ -
عنوان‌قراردادی : صهبای حج. عربی
عنوان و نام پدید آور : الحج رموز و حکم / عبدالله جوادی آملی؛ مترجم حیدر حب‌الله.
مشخصات نشر : تهران : مشعر، ۱۳۸۹.
مشخصات ظاهری : ۲۹۲ ص.
شابک : ۱ - ۲۷۲ - ۵۴۰ - ۹۶۴ - ۹۷۸
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا
موضوع : حج
شناسه افزوده : حب‌الله، حیدر، مترجم
رده‌بندی کنگره : ۱۳۸۹ ۹۰۴۱ ص ۹ ج / ۸ / ۱۸۸ BP
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۳۵۷
شماره کتابشناسی ملی : ۲۱۱۴۰۵۴

www.ketab.ir

الحج رموز و الحكم

○ بإشراف:	آية الله جوادي آملي
○ تنضيد الحروف والإخراج الفني:	مركز أبحاث الحج
○ الناشر:	دار مشعر
○ المطبعة:	مشعر
○ الطبعة:	الاولى - ١٤٣٢ هـ ق.
○ الكمّية:	٢٠٠٠ نسخة
○ السعر:	٣٤٠٠ تومانا

ردمک : ۱ - ۲۷۲ - ۵۴۰ - ۹۶۴ - ۹۷۸ ISBN : 978 - 964 - 540 - 272 - 1

مراکز پخش و فروشگاه‌های مشعر :

تهران : تلفن : ۶۴۵۱۲۰۰۳ - ۰۲۱ / قم : تلفن : ۷۸۳۸۴۰۰ - ۰۲۵۱

كلمة المجلة

الحج مدرسة فكرية وروحية وتربوية عظيمة، يستلهم الفرد منها القيم والإرشادات، كما تستنير الأمة بها في سلوك طريق تكاملها وترقّيها.

إنّ موسم الحج فرصة عظيمة وفّرتها الشريعة الإسلامية للموحّدين كي يستلهموا منها مختلف المعاني وألوان المفاهيم التي تعينهم على المضي قدماً في مسيرة الارتقاء والصلاح.

وقد أخذ مركز أبحاث الحج على عاتقه مسؤولية الترويج لثقافة الحج والزيارة، عبر إنتاج الأبحاث وتأليف الكتب والدراسات، وإصدار النشريات العلمية الرصينة، فكان سبّاقاً في هذا المضمار، يقتفي أثره سائر المراكز والمؤسسات البحثية والثقافية في العالم الإسلامي.

ومن بركات هذا المركز إصدار مجلة «ميقات الحج» باللغتين العربيّة والفارسية، حيث نشرت فيها مئات الدراسات والأبحاث العلمية والتحقيقية المتعلّقة بالحج والعمرة والزيارة والتراث الإسلامي في أرض الحرمين وغيرها من الملفات والمحاور الهامّة.

لقد تولّت مجلة (ميقات الحج) باللغة العربية رصد أهم الموضوعات ومتابعة المستجدات الفقهية المتصلة بقضايا الحج والعمرة، فبنت جسوراً مع كبار الفقهاء وثلّة من أفاضل العلماء ونخبة من الأساتذة والباحثين، فتركت حتى الآن اثنين و ثلاثين

www.ketab.ir

عدداً متميزاً، تصلح مرجعاً هامّاً في هذا المضمار.

وقد ارتأت أسرة تحرير المجلة إصدار كتابها الثالث الذي جمعت فيه ما كانت ترجمته من أبحاث أخلاقية وفقهية ووجدانية وعرفانية للعلامة الجليل سماحة آية الله الشيخ عبدالله جوادي آملي حفظه الله تعالى، حيث عبّرت هذه الأبحاث عن جولة كاملة في مفاهيم الحج ورحلة شيقة في معانيه ودلالاته.

إنّ أسرة التحرير إذ تقدّم هذا الكتاب بين يدي القارئ العزيز تأمل منه الاستفادة بتقديم ملاحظاته ومقترحاته حول كل ما يرتقي بعمل المجلة ويوفر لها مناخاً مساعداً.

والله من وراء القصد

www.ketab.ir

مقدمة الترجمة

يمكن لمن يدرس ظاهرة الحج أن يطالعها من زوايا متعددة؛ تنطلق من الزاوية الفقهية الشرعية، لتمرّ بالزوايا التاريخية والأخلاقية والتربوية والسياسية والاجتماعية والفكرية، وصولاً إلى الزاوية الروحية والعرفانية والرمزية.

يغصّ الحج بدلالات ومعانٍ تجعل منه مادة خصبة للتحليل والتأمل والغوص والاستغراق، وبقدر ما كانت دراسات الحج على المستوى الفقهي واسعة ومعقدة كما يعرف ذلك المتخصصون بدراسة فقه الحج والعمرة، كذلك كان تحليله الروحي والعرفاني معقداً أيضاً، نظراً لغزارة الدلالات الرمزية التي يكتنفها.

قد يكون التخصّص في علم الفقه كافياً لدراسة فقه الحج، إلا أن معرفة أسرار الحج ورمزياته تظلّ بحاجة إلى عُدد معرفية أخرى، من الوجدان الصافي إلى العرفان العملي والنظري إلى التجربة الروحية والأخلاقية، من هنا كانت هذه المهمة مسؤولية العرفاء وأهل القلب والمعنى.

ومن رموز مدرسة المعرفة القلبية والفلسفية ووجوه الاتجاه الرمزي في عصرنا سماحة الأستاذ آية الله الشيخ عبدالله جوادي آملي حفظه الله، فقد خاض في هذا الكتاب صولات وجولات في ممارسة تحليل رمزي وعرفاني وروحي لهذه الفريضة العظيمة، وسعى لربطها بمختلف الدلالات المساعدة.

لقد أبرز الشيخ الأستاذ قدراته في التفسير الرمزي للعبادات، وكانت له طريقته

www.ketab.ir

الخاصّة في ذلك، والتي قد يتخلف العلماء فيها، إلا أنها تظلّ شكلاً من أشكال فهم العبادات في الإسلام، تسعى لكي تتخطى الوقوف على الأبعاد الظاهرية للأمور لتلامس معاني باطنة ذات مضامين سامية.

إنني إذ قمت بجهود متواضعة في ترجمة هذا الكتاب لابد لي أن أشكر أسرة تحرير مجلة ميقات الحج، وبالأخص سماحة السيد قاضي عسكر، ممثّل الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة ـ رئيس التحرير ـ وسماحة الأخ العزيز الشيخ محمدعلي مقدادي ـ مدير التحرير ـ على رعايتهم هذا الجهد المتواضع ونشره على صفحات المجلة ثم في هذا الكتاب.

ولا يفوتني أن أشكر الأخ العزيز الأستاذ صالح البدراوي على مساعدتي في ترجمة الموضوعات المتعلقة بالحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم والصفا والمروة وعرفات ومنى والمشعر الحرام والتي تقدر بحوالي الخمس عشرة صفحة، حفظاً لحقه المعنوي وتقديراً له.

إنّي أقدم جهدي المتواضع هذا هدية مزجاة لأستاذي ـ الذي تشرفت بحضور درس التفسير القرآني عنده ـ سماحة الشيخ جوادي آملي وأضعه عربون وفاء لحقّه عليّ في التعليم.

والله وراء القصد

حيدر حب الله

www.ketab.ir

مقدمة المؤلف

الكتاب الذي بين يديك قارئنا العزيز «الحجُّ رموزٌ و حِكَم» ثمرة جهود وإشراقات نورانية لسماحة آية الله العلامة الشيخ عبد الله جوادي آملي حفظه الله تعالى، وقد تولّت مجلة «ميقات الحج» تقديمه إلى القارئ الكريم، تعميقاً لمعاني الحج، و توضيحاً لدلالاته.

وقد قدّمنا هذا الكتاب بعد إعداده إلى مؤلفه الكريم، فتفضّل ـ مشكوراً ـ بكتابة مقدّمة للطبعة العربية له، تحوي المزيد من الالتماعات التي مازال يتحفنا بها سماحته دام عزّه.

إنّنا نأمل بنشر هذا الكتاب ـ مزيّناً بمقدّمة الطبعة العربية هذه ـ أن تزدان المكتبة الإسلامية بمثل هذه البحوث والقراءات المعمّقة لفريضة الحجّ العظيمة، ونسأل الله تعالى التوفيق وتقبّل عملنا هذا، كما نأمل أن يحظى هذا العمل برضا المؤلّف والقارئ معاً، إن شاء الله.

والحمدلله ربّ العالمين

❊❊❊

ألحمدُ لله الذي جعل الكعبة قياماً للناس، و الصلاة والسلام على جميع الأنبياء، سيّما الخليل عليه السلام الذي رفع قواعدها، و الحبيب صلى الله عليه وآله الذي طهّرها من الصنم، و عترته

www.ketab.ir

المعصومين، سيّما خاتمهم المهدي الموجود الموعود(عجّل الله تعالى فرجه الشريف) الذي به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً؛ بهم نتولّى ومن أعدائهم نتبرأ إلى الله.

إنّ الله سبحانه خالق كلّ شيءٍ ممكنٍ و يكون خلقه إيّاه بالتجلّي كما قال مولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «**ألحمدُ لله المتجلّي لِخَلقه بِخَلقه**».[1] أي فتجلّى الله سبحانه بالخلق لكل مخلوقٍ فكل مخلوقٍ يعرفُ الله سبحانه و يسبّحه و يحمّده و يسجد و يأتيه طائعاً كما في غير واحدة من الآياتِ، فلا الخلق بالتجافي بل بالتجلّي، و لا المخلوق محجوب عن خالقه المتجلّي له، إذ ليس المتجلّىٰ له هو خصوص الانسان، و إن كان هو أقوى مخلوقٍ تجلّى الله له.

فهذا أصل إلهي، و هو أنّ الله مُتجلٍّ في خلقه و أنّ مخلوقةٌ متجلّىٰ له بلا استثناء في شيء من هذين المطلبين.

إنّ كمال الخالق و حُسنه الوجودي (لا الاعتباري) يتجلّى في خلقه و إنّ كمال المخلوق و حسنه الوجودي يكشف كمال الخالق و حُسنَه الوجودي، و لا يختصّ ذلك في خلق الإنسان الذي له أحسن تقويم؛ فما ورد فيه من قوله تعالي: ﴿**فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾.[2] إنما هو تمثيل لا تعيين، لأنه جارٍ بعينه في إنزال القرآن الحكيم الذي هو أحسن الحديث و أبلغ الموعظة، و حيث إنّ الله سبحانه ﴿**نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ**﴾.[3] فهو أحسنُ المتكلّمين و أحسنُ المحدّثين، و ما إلى ذلك من الأشباه و النظائر.

إنّ الله سبحانه رفيعُ الدرجات ذو العرش، و يرفع الذين آمنوا درجةَ والذين أوتوا العلم درجات، و يرفع الأوحديّ منهم مكاناً عليّاً.

---

١. نهج‌البلاغه، الخطبة: ١٠٨.

٢. المؤمنون: ١٤.

٣. الزمر: ٢٣.

www.ketab.ir

فجميع ذلك مصداق خلقه المتجلّى به للمخلوق، فأيّ مخلوقٍ عَرَفَ نفسَه يعرف ربّه بمقدار معرفته، و لا خصيصة لهذا الأصل بالإنسان، و إن كان له حظٌّ وافرٌ، و لا يمكن أن لا يَعرف مخلوقٌ أيّ مخلوقٍ كان نفسه إلاّ بسوء عمله الذي يختلف باختلاف المخلوق شدةً و ضعفاً، و كلّ مخلوق عرف نفسه يعرف خالقه المتجلّى له بالضرورة.

و حيث إنّ درجات التجلّي متفاوتةٌ فكلّ مقدارٍ نَقَصَ منه ينتزع من القدر الناقص عنوان التجافي المقابل للتجلّي، إذا الميز بينهما بأنّ المتجلّي يكون جامعاً بين الدرجات بنحوٍ إذا هبط إلى الأرض يكون موجوداً في السماء أيضاً، و إذا نزل إلى السفل يكون موجوداً في العلو و يصير مظهراً لله الذي هو دانٍ في علوّه و عالٍ في دنوّه، بلا اتّحادٍ و لا حلولٍ، و بأنّ المتجافي لايكون كذلك، حيث إنّه إذا كان عالياً لم يكن سافلاً، وإن كان هابطاً لم يكن صاعداً، و ذلك كالمطر حيث إنّه مادام في سحاب السماء لا يكون في بحر الأرض أو نهرها، و مادام هبط إلى البرّ أو البحر لا يكون في سحابها.

مع أنّ كل شيءٍ مسبوقٌ بوجوده في خزائن الله سبحانه، و أنّ هبوطه إلى الأرض ليس بمعنى خلوّ المخزن عما اختزن فيه؛ فما أفاده سبحانه بقوله: ﴿**وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾.[1] حقّ لا ريب فيه، إلاّ أنّ بين أنحاء التنزيل فرقاً.

إنّ القرآن قد نزل من لدن عليّ حكيم، و إنّ المطر أيضاً نزل من مخزنه، و لكن بينهما تفاوتاً من البدء إلى الختم، و من كيفية الانزال و ما إلى ذلك؛ فالقرآن نزل بالتّجلي الخاص كما أفاده مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام: «**فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه**».[2] والمطر نزل بالتّجافي فالقرآن بمثابة الحبل الممدود من

---

١. الحجر: ٢١.

٢. نهج‌البلاغه، الخطبة: ١٤٧.

www.ketab.ir

الصدر إلى الساقة بلا طرح و لانبذ، و المطر مُلْقىً و مَنْبوذٌ فأين أحدهما من الآخر؟

فالقرآن من أدلّه الذي يكون بيد الله إلى آخره الذي بأيدي الناس كلام الله حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.[1] والتفصيل موكول إلى موطنه المعدّ لبيان كيفية نزول القرآن و مَيْز نزوله عن نزول غيره.

إنّ الكعبة التي هي قبلة المسلمين، و مطاف الطائفين، و مزار الزائرين، قد نزلت إلى الأرض قرب نزول القرآن إليها، لا كنزول المطر إليها، و يشهد له ما ورد في شأن الحجر الأسود، من أنه يمين الله في الأرض، فمن استلامه فكأنه بايع يمين الله الذي كلتا يديه يمين، مع نزاهته عن الجسم، و برائته عن المادة، و طهارته عن لوث الجسمية، و ما إلى ذلك: سبّوحٌ قدّوسٌ ربنا و ربّ الملائكة و الروح.

إنّ الكعبة هي متن القبلة فمن دَخَلَها فهو في عين القبلة بحيث أينما يتوجّه فثَمّ وجهُ الله و لا مَيْز هناك بين الأمام و الخلف و اليمين و اليسار والفوق والتحت إلاّ بالاعتبار، و إلاّ فالجميع قبلة و البيت الذي هذا شأنه فهو مَجْلىً لله المتجلّي فيه، لأنه تعالى يكون مع الإنسان أينما كان، و كيف كان، و حيث كان، و لا يعمر هذا البيت إلاّ الموحّد الخالص: ﴿إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾.[2] و لا يطوف حوله إلاّ العتيق عن حُبّ غير الله، و لا يستقبله إلاّ المستدبر ما سوى الله.

إنّ الكعبة رقيقةٌ للبيت المعمور الذي يَعْمره الملائكة الذين لايعصون الله ما يأمرهم و هم بأمره يعملون، و لا يسبقونه بالقول و يخافون ربّهم من فوقهم، و يسبّحونه و يقدّسونه، و هم المدبّرون العالَم بأمره تعالى، و حيث إنّ البيتَ المعمور بالملائكة أقوى درجة من الكعبة فهو بتمامه أي داخله و سطوحه الخارجة كلها

---

١. الزخرف: ٣ و ٤.

٢. الأنفال: ٣٤.

www.ketab.ir

بحيث أينما يتوجّه إليه مَلكٌ مِن الملائكة فثمّ وجه الله.

والسرّ في تماثل الكعبة و البيت هو أنّ ذلك البيت حقيقةٌ لرقيقة الكعبة، و هي رقيقة لتلك الحقيقة صوناً للتجلّي عن التّجافي، فجميع ما في البيت المعمور حاصلة للكعبة ضعيفاً، و جميع ما في الكعبة حاصلة للبيت المعمور شديداً.

إنّ البيتَ المعمور رقيقةٌ للعرش الإلهي، و ذلك حقيقة لهذه الرقيقة كما أشير في التماثل بين الكعبة و البيت المعمور، و العرش معمورٌ بمن يستولي عليه و هو الله سبحانه: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.[1] و لكنه تعالى إنما يَعمر عرشه بأسمائه الحسنى، و أوصافه العليا، و كلماته التامّة التي تحكيها التسبيحات الأربع و هي:

سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلاّ الله و الله أكبر

كما دلّت عليها الرواية الدالّة على أنّ تربيع العرش و كونه ذا أركان أربعة إنّما هو لأنّ تلك الكلمات التي بني عليها العرش أربع، فلو أمكن لأحدٍ أن يَصْعَد إليه بإذن الله تعالى فهو يرى نفسه محفوفاً بالتوحيد المشار إليه تارةً بالتسبيح، و أخرى بالتحميد، و ثالثةً بالتهليل، و رابعةً بالتكبير، و هي و إن كانت كثيرة لفظاً و مفهوماً و لكنّها متحدة مصداقاً.

فهذا الصاعد الذي عرج بروحه إلى ذلك المستوى، فهو يرى قلبه، إنّه أينما توجّه فثمّ وجه الله، و حيث إنّ هذا السعيد الصاعد ذو قلب سليم ليس فيه غير حُبّ الله، فيصير بذلك بمنزلة العرش، الذي مبناه، و بناؤه، و جداره، و سقفه، و بابه، و ميزابه، و كلّ ما يتعلّق به توحيداً خالصاً لله الذي ليس كمثله شيء.

ثمّ إنّ تلك الكلمات الطيّبة حقيقة العرش الذي هو رقيقتها، و يكون العرش حقيقة البيت المعمور الذي هو رقيقته، و يكون البيت المعمور حقيقة بيت الله في الأرض (الكعبة) الذي هو رقيقته، و من هنا يتبين أنّ نزول الكعبة إلى الأرض

---

١. طه: ٥.

www.ketab.ir

بالتجلّي الخاص لا التجلّي العام الذي يصحبه التجافي أحياناً، و أنّ معنى ما قد يقال: إنّ الكعبة من تخوم الأرض إلى عنان السماء قبلةٌ، له معنى دقيق في الفقه الأكبر و الأوسط، كما أنّ له معنى رائجاً في الفقه الأصغر، و أنّ صغر الفقه و كبره يرجعان إلى المحتوى الناظر إلى الجهاد الأصغر و الأكبر، إذ لا يمكن الفتح في الجهاد الأكبر بسلاح الفقه الأصغر، لأنّ لكلّ جهادٍ سلاحاً، و ظَفَراً، و غنيمةً، كما أنّ له هزيمة و غرامة، و أنّ قلبَ المؤمن إنّما يصير عرش الرحمن، إذا التزم بجميع ما في الفقهين الأصغر و الأكبر، و عرفه واعترف به، و آمن بذلك، و عمل به خالصاً لله، البريء مِن الرّياء، و السمعة، و ما إلى ذلك من هوى النفس، فلابدّ من تضحيتها، و تزكية الروح، و تذكية العقل، حتى يليق بأن يصعد، و يصير بنفسه بمنزلة عرش الرحمن، فحينئذٍ إذا أفيض على قلبه شيءٌ من المعارف العلمية، أو العملية، يصير ذلك كلمةً عرشية، لأنها أفيض على عرش الرّحمن و استقرّ عليه، و كلّ ما يستقرّ على العرش يصير عرشياً، فتلك المعارف تصير حكماً عرشية، كما هو المعهود لدى أبناء التحقيق؛ لا أنّ كل مطلبٍ عريقٍ عميقٍ دقيقٍ يستحقّ بأن يُعبّر عنه بالحكمة العرشية؛ لأنه أفيض على قلب الغير، و أيّ مطلبٍ أفيض على الغير فهو عارية ترجع إلى صاحبها، و لا مساس لها بالمستعير، فليس له أن يتفوّه بذلك إلاّ بعد التصريح بالاعارة و الاستعارة، لأنّ ذلك المطلب السامي، و إن كان مشهوداً للعارف، أو معقولاً للحكيم، إلاّ أنّ نقله ليس عرفاناً و لافلسفةً، إذ الناقل المستعير لا يكون عارفاً شاهداً، و لا حكيماً عاقلاً، إذ نقل الشهود و العقل أجنبي عنه منقوله.

فكما أنّ قارىء القرآن له أنْ يقرأ و يرقى، حيث يقال له: «إقرأ وارقَ».[1] ولا يختصّ ذلك بالآخرة، و إن كان هنالك بنحو أتم، بل يجري في الأولى أي الدنيا أيضاً، فكل الحاج و المعتمر و الزائر، و كل من يتّجه إلى الكعبة و يصلّي نحوها يقال

---

١. الكافي، ٢: ٦٠٦.

www.ketab.ir

له: طُفْ، زُر، صَلّ و أرْقَ من الكعبة إلى البيت المعمور، و منه إلى العرش، و منه إلى محتوى التسبيحات الأربع، و صير عبداً خالصاً ذا قلبٍ سليمٍ ليس فيه شيء سوىٰ حُبّ الله، و حُبّ آثاره القيّمة من القرآن، و العترة عليهم السلام الذين ورد فيهم أنّهم بمثابة الكعبة تُؤتىٰ و لاتأتي؛ لأنّ الإمام لا يكون إلاّ كذلك.

إنّ الكعبة التي لم يذكر إلاّ بَضْعَة ممّا ورد فيها هي مدار حياة الأمّة و مماتهم وجوباً أو ندباً، من الصلاة، و الذبح، و النَحر، و الاحتضار، و التصلية، و الدفن، و ما إلى ذلك؛ فلذا يقال حيّاً و ميتاً: إنّ الكعبة قبلتي، كما يقال في الحالتين: إنّ القرآن كتابي و إنّ محمداً صلى الله عليه و آله نبيّي و رسولي، و إنّ عليّاً و أولاده المعصومين الأحد عشر عليهم السلام أئمّتي، و ما إلى ذلك من الأمور الدينيّة؛ فيلزم معرفتها بحيث لايضيع شيء من حقّها أوّلاً، ثمّ تجعل سلّماً للصعود إلى البيت المعمور هكذا ثانياً، و من هنا يصح أن يقال: «الكعبة! و ما أدراك ما الكعبة؟! حيث إنّ الطائف لا يرى منها إلاّ حجراً لا يضرّ و لاينفع» كما أنّ قارئ القرآن لا يسمع إلاّ لفظاً عربياً، و لكنه لا يدري من أين تجلّى؟ و من أين نزل في القوس النزولي؟ و إلى أين يصعد و يترقّي في القوس الصعودي؟

إنّ كلمة «ياء» التي أضيف إليها لفظ البيت في قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ...﴾[1] ليست إضافةً اعتبارية، بل تحكي الإضافة الإشراقية التي يكون المضاف فيها تابعاً للإضافة، بخلاف ما في الاعتبارية منها، حيث إنّ الإضافة فيها تابعة للمضاف، كما أنّها تابعة للمضاف إليه.

والحاصل أنّ إضافة البيت إلى الله تشريفية، تحكي شرافة المضاف تكويناً لا اعتباراً صرفاً، و أنّ التشريف التشريعي يساوق التكوين، إذ الشريعة الإلهية عين الحكمة بلا جزاف، و متن الواقعيّة بلا تسامح و لاتساهل.

---

١. البقرة: ١٢٥.

www.ketab.ir

و إن شئت فقارن هذه الإضافة و الإضافة التي في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.[١] إذ المضاف هناك أي الروح موجود مجرّد ملكوتي من أمر الله، و له شأو قاصٍ تحكيه الإضافة المذكورة و إن يكن بين الروح الإنساني المنفوح فيه من الله، و بين ظاهر الكعبة المنبة من أحجار لاتضرّ و لا تنفع[٢] فرق، و لكن بعد التدبّر في باطنها يعترف بإمكان التشابه، و من هنا قِيل في نعتِ الكعبة باللغة الفارسية المقاربة للعربية في غير واحد من المعارف و الحِكَم عدا ما فيها من القرآن الحكيم و كلام أهل بيت الوحي:

كعبه را جامه كردن از هوس است

ياء بيتي جمال كعبه بس است.[٣]

أي لا تحتاج الكعبة إلى تزيينها بالثوب الحريري و نحوه؛ لأنّ جمالها إنّما هو في لفظة الياء في كلمة بَيْتي في قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾.[٤] حيث إنّ جمال المخلوق بإضافته إلى الخالق الجميل الذي كلّ جماله جميل، و إن نسأله بأجمله في «دعاء السحر» حسب ما عَلّمنا مولانا ابوجعفر الباقر (عليه و على آبائه الأطيبين و أبنائه الأنجبين آلاف التحيّة و الثناء).

إنّ الكعبة سبب قيام الناس للتوحيد و العدل على الإلحاد و الظلم، فهو موجب لمقاومتهم تجاه الباطل، أيّ باطلٍ كان، و سببٌ لإقامة الحق، أينما كان، فهي أي الكعبة تهدي الناس إلى أن يدوروا مع الحق حيثما دار، و تهدموا الباطل أينما ظهر، لأنّ معها لا يُبدئ الباطل و لا يعيد: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.[٥]

---

١. الحجر: ٢٩.

٢. نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

٣. ديوان الحكيم السنائي الغزنوي.

٤. البقرة: ١٢٥.

٥. سبأ: ٤٩.

www.ketab.ir

والدليل على كونها أي الكعبة عاملة للقيام هو قوله سبحانه: ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.[١] فهي محور المقاومة والوحدة الإسلامية من مشارق الأرض و مغاربها، و من يُرد فيها بظلم أو إلحاد يذقْه الله عذاباً أليماً.

و لعلّ بناء الخليل عليه السلام ـ الجذّاذ للأوثان و الأصنام ـ جعل الكعبة سبباً للقيام على كسر أصنام الجاهلية بإذن الله، و الشاهد على أنّ هذا البيت الرفيع بناؤه، هو استقرار مقامه فيه من أبعد عهدٍ إلى اليوم كما قال سبحانه: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.[٢] والعرف الجاهلي جعله مأمناً للقاتل و كان يحفظه مادام هو فيه، و ليس ذلك لكونه معبداً للصنم، إذ لم يعهد إجْلال معبده أصلاً، حيث إنّه كم من معبد في شرق الأرض و غربها للصنم و الوثن لا يعهد فيه مثل ذلك؛ والحاصل أنّ الكعبة سبب قيام الناس للاعتقاد.

وأنّ المال سبب قيام الناس للاقتصاد حسبما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾.[٣] فإذا قام الناس بالكعبة للاعتقاد، يتمّ لهم القيام بالمال للاقتصاد، و إذا قعدوا عنها و لا يقوموا بها للاعتقاد صار المال وبالاً و دولةً بين الأغنياء منهم، و يصيرون شيعاً يستضعف الغنيُّ منهم الفقير، و يستأثرون لأنفسهم ما الناس فيه شَرَعٌ سواء، و يخضمون مال الله خضم الإبل نَبْتَة الربيع، و يحومون حوم النثيل والمعتلف، أعاذ الله الأمة الإسلامية من هؤلاء، و من يحذو حذوهم.

فالحج و العمرة سير إلى سبب القيام للاعتقاد، و تعديل لما هو عامل القيام للاقتصاد، إذ: ما جاع فقيرٌ إلاّ بما مُتّع به الغنيّ.

---

١. المائدة: ٩٧.

٢. آل‌عمران: ٩٧.

٣. النساء: ٥ .

www.ketab.ir

إنّ التحقيق حول معنى التجلّي الممتاز عن التجافي، و حوم الحقيقة و الرقيقة يزيح أي شكٍّ يمكن أن يختلج ببال مَن لا يؤمن إلاّ بما يراه جَهْرةً، فيقول: لو كانت الكعبة بحذاء البيت المعمور للزم سكون الأرض و السماء معاً، أو حركتهما من مبدإ خاص إلى منتهى مخصوص على سرعة خاصّة، حفظاً للمحاذاة، ذهولاً عن معنى التحاذي المعنوي، و غفلةً عن التقابل الملكوتي، و ما إلى ذلك مما يناسب تحاذيهما كمحاذاة البيت المعمور العرش المحاذي للكلمات الأربع.

إنّ الإنسان المطبوع على قلبه، المختوم على سمعه و بصره، كما يُبَدل هويّته، ويجعل فؤاده كالحجر أو أشدّ قسوةً، يجعل أوّل بيتٍ وُضع للناس بيت العنكبوت، و لا تكون عبادته لديه إلاّ مكاءً و تصديةً، فمن دسّى نفسَه و خاب بتدسيسها، يُبَدل أقوى البيوت بأوهنها، و أمّا من عرف نفسه و زكّاها، يعرف قدرها و ينفتح له بذلك أبواب المعارف و الحِكم، و ينكشف له سرّ التعبير عن الكعبة بالبيت، مع أنّه لا بيتوتة هناك لأحدٍ، والسرّ هو أنّ عنوان البيت يحكي التلبّس التي إليها بركات، لاتوجد في النهار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.[1] و المرجوّ أن تتبرّك الأمّة الإسلامية على اختلاف مذاهبها ببركة الكعبة ما هو خير لها.

آمين يا ربّ البيت الحرام

www.ketab.ir

---

١. المزمل: ٦.